الحرفُ الحيُّ والحرف الميّت في التراث اللغوي
(دراسة تأصيلية)

Letters in the Linguistic Heritage (a Rooting Study).

م.م. حيدر عبد الرسول عوض
جامعة بابل/ كلية الآداب

Mr. Haider Abdel-Rasoul Awad
University of Babylon / College of Arts.

كلمات مفتاحية: الصوت، الحرف، الحرف الحي، الحرف الميّت، الصامت، الصائت، السكون.

ملخص البحث

أصَّلَ البحثُ لمصطلحين من مصطلحات العربية هما الحرف الحيّ والحيّ الميت، اللذان شاعا عند علماء العربية من الخليل وما بعده، ولكن لم أجد لهما أثرا يذكر عند المحدثين لا سيما المهتمين بالمصطلحات الصوتية، فحاولت التأصيل لهما بالتراث النحوي، بدءا من كتاب سيبويه إلى القرن العاشر الهجري، وأهمّ ما توصّل إليه البحث أن أصوات العربية عند القدماء تقسم على قسمين رئيسين: حيّة (صامتة) وهي القابلة للحركة، وميّتة (صائتة) ساكنة وهي: الألف والواو والياء المديتان وتلحق بها الاحتكاكيتان؛ لسكونهما، ولهما خصائص بحثتها: في البقاء والحذف، والإعلال والإبدال، والإدغام، والإمالة، وأهمّ تلك الخصائص أن الصوت الحي أقوى من الميت، لذا يتعرّض الأخير للحذف والإعلال والإبدال والإدغام؛ لضعفه، على حين يكون الأول أقوى فيكون أثبت وأقدر على مقاومة التحوُّل والتبدُّل. وبيّن البحث خطأ علماء التجويد بتقسيمهم السكون إلى حيّ وميّت بأدلة مفصلة.

Abstract

The research rooted for two Arabic terms, namely, the living letter and the dead letter, which were popular among Arabic scholars from AlKhaleel and beyond, but I did not find a significant impact for them among the modernists, especially those interested in phonetic terms, so I tried to root them in grammatical heritage. The grammarian, starting from Sibawayh's book to the tenth century AH, and the most important finding of the research is that the sounds of Arabic among the ancients were divided into two main parts: live (silent), which is movable, and dead (voice) static, which are: Alif, Waw and Yaa, which are two modes, and the two fricatives are attached to them; Because they are still, and they have

characteristics that I discussed: in survival and omission, eloquence and substitution, dwarfing, and inclination, and the most important of these characteristics is that the living voice is stronger than the dead, so the latter is subjected to omission, evocation, substitution and immersion; Because of its weakness, while the first is stronger, so it is stronger and more capable of resisting transformation and change.

The research showed the error of the scholars of Tajweed by dividing the sukoon into living and dead with detailed evidence.

المقدمة

تقسم الأصوات المكوّنة للغات عامة تقسيمات عدة، ومن التقسيمات الرئيسة لها تقسيمها إلى: صامتة وصائتة، وفي العربية الصائتة الطويلة هي (اوي)

والقصيرة الفتحة والضمّة والكسرة، والصامتة ما تبقّى منها[١]، وقد اصطلحوا عليها مصطلحات مختلفة منها: الصحاح والعلة أو الجوف أو الهاوية[٢] ، ومصوّتة وصامتة[٣] ، والجامدة والذائبة[٤] ، والساكنة واللين[٥]، ولست بصدد إحصاء هذه المصطلحات ونقدها وبيان الأصلح منها، بل ذكرتها من باب نافلة القول، ولم أجد ذكرا لمصطلحي الحيّ والميّت في الكتب التي عنيت بالمصطلح الصوتي، على الرغم من وجودهما بعشرات الكتب النحوية من سيبويه وما بعده، فحاولت تأصيل هذين المصطلحين، وبيان خصائصهما.

والجدير بالذكر أنَّ علماء العربية القدماء لم يفرّقوا بين الصوت والحرف على مستوى المصطلح، فيطلقون الحرف على الصوت المنطوق والرمز الكتابي، فما يرد في هذا البحث من مصطلح الحرف يقصد به الصوت.

الموت والحياة لغة واصطلاحا

لغة: الموت، من موت ((أصل صحيح يدلّ على ذهاب القوة من الشيء، منه الموت خلاف الحياة)) [٦]، والمَوْتُ في كلام العرب: ((السُّكونُ، وكلُّ ما سَكَنَ ، فقد ماتَ)) [٧]، ومنه ((يقال: ماتت الريحُ أَي سَكَنَتْ)) [٨] .

وأمّا الحيّ: ففي كتب اللغة لم يوّضحه اللغويون بأكثر من قولهم: إنه ((خلاف الموت)) [٩]، والحَيُّ ((من كل شيء : نقيضُ الميت)) [١٠].

إذن الموت يعني السكون وذهاب القوة، والحياة نقيضه، أي: تدلّ على الحركة والقوة، وهذا المعنى عينه أراده علماء العربية حين أطلقوا على الحروف الصامتة بأنها (حيّة)، والحروف الصائتة (ميّتة)، وسأعرض في ما يأتي تأصيل هذين المصطلحين في التراث النحوي:

إن أول من وصف الصامت بالحيّ والصائت بالميت هو الخليل حين سأله سيبويه ((عن واو عجوزٍ وألف رسالةٍ وياء صحيفةٍ لأي شيء هُمزنَ في الجمع ولم يكن بمنزلة معاون ومعايش إذا قلت: صحائف ورسائل وعجائز)) [١١]، فأجاب الخليل: لأنه ((إذا جمعت مَعاون ونحوها فإنما أجمع ما أصله الحركة، فهو بمنزلة ما حركت كجدولٍ وهذه الحروف لمّا لم يكن أصلها التحريك وكانت ميتةٍ لا تدخلها الحركة على حالٍ، وقد وقعت بعد ألف لم تكن أقوى حالاً ممّا أصله متحرّك وقد تدخله الحركة في مواضع كثيرة، وذلك نحو قولك: قال وباع ويغزو ويرمي، فهُمزت بعد الألف كما يهمز سِقاءٌ وقَضاءٌ وكما يُهمز قَائل وأصله التحريك، فهذه الأحرف الميّتة التي ليس أصلها الحركة أجدر أن تغيّر إذا همزت ما أصله الحركة، فمن ثم خالفت ما حرّك وما أصله الحركة في الجمع كجدولٍ ومقامٍ)) [١٢] .

فالخليل وصف الألف، والواو والياء المديّتين بأنها حروف ميّتة، لأنها لا تحرّك أبدا، وهذا هو سبب موتها بنظره، وهو ما دعا إلى قلبها همزة بخلاف واو معاونِ المتحّركة، فحركتها منحها قوة فلم تقلب.

وقد حذا سيبويه حذو شيخه في مواضع كثيرة في كتابه، منها: قوله في باب تكون الزوائد فيه بمنزلة ما هو من نفس الحرف: ((وذلك قولك في رجل اسمه حَوْلَايا أو بَرْدَرَايا: يا بَرْدرای أقبل، ويا حَولايَ اقبل، من قبل أن هذه الألف لو جيء بها للتأنيث والزيادة التي قبلها لازمة لها يقعان معا لكانت الياء ساكنة وما كانت حيّة؛ لأن الحرف الذي يجعل وما بعده زيادة واحدة ساكن لا يتحرّك ولو تحرّك لصار بمنزلة حرف من نفس الحرف ولجاء بناء آخر... وكذلك ألف التأنيث إذا جاءت وحدها يدلّك على ذلك تحرّك ما قبلها وحياته. وإنّما كانت هذه الأحرف الثلاثة الزوائد الياء والواو والألف وما بعدها

بمنزلة زيادة واحدة لسكونها وضعفها فجعلت وما بعدها بمنزلة حرف واحد إذ كانت ميّتة خفيّة)) [١٣].

وهذا تصريح منه بوصف هذه الصوائت بالموت، قوله(ساكنة وما كانت حيّة)، ووصفه المتحرّكة بأنها حيّة بقوله: (تحرّك ما قبله وحياته).

ووصفه الحرف المتحرّك بالحياة غير مقصور على حروف الحشو التي تطرأ عليها حركات البناء، بل هذا الوصف سارٍ على الحروف الأواخر التي تعتريها الحركات الإعرابية أيضا قوله: ((إن آخر الاسم لمّا تحرّك وكان حيّاً يدخله الجر والرفع والنصب)) [١٤] ، فحياة الحرف بحركته، وموته بسكونه لا سيما إذا كان هذا السكون لازما.

وتبعه المبرد في ذلك فوصف المتحرّك بالحياة فقال: ((الْهمزَة متحركة وَالْألف سَاكِنة والمتحرّك حرف حَيّ)) [١٥]، ووصف الساكن بالميّت بقوله: ((وَكَانَت الْيَاء سَاكِنة، فحذفها جَائِز؛ لِأَنَّهَا حرف ميت)) [١٦] .

وصرّح بالمصطلحين ابن خالويه في معرض حديثه عن الإدغام: ((إنّما يدغم الساكن في المتحرّك، لا المتحرّك في الساكن، لأن المتحرّك حيّ، والساكن ميّت)) (١٧) .

ووردا عند ابن جني في حديثه عن تكسير (جياء): ((فحذفت الألف لأنها ضعيفة ساكنة، وبقيت الهمزة؛ لأنها قوية حيّة متحرّكة)) [١٨]، وقال في موضع آخر((الهمزة حرف حيّ متحرّك)) [١٩].

ونجد ذلك عند الزمخشري بحديثه عن سبب إعلال أمثال((سِياط وثِياب ورِياض لشبه الإعلال في الواحد، وهو كون الواو ميّتة ساكنة فيه بألف دار وياء ريح مع الكسرة والألف)) [٢٠].

وصرّح بذلك ابن الحاجب في حديثه عن علّة عدم إمالة (قال) وأمثالها بقوله: ((والياء في «ليم» و»قيل» لا تتحرّك بل ميّتة ساكنة)) [٢١].

والرضي الأستراباذي بقوله: ((الألف المقصورة فإنها حرف واحد ساكنة خفية ميتة)) [٢٢].

والشاطبي في حديثه عن الفرق بين ألف التأنيث الممدودة: ((والفرق بينها وبين الألف المقصورة حرفٌ ميت لا حظَّ لها في الحركة)) [٢٣].

والأشموني في حدثيه عن شروط قلب الواو ياء: ((وأن تكون الواو في واحدة ميّتة بالسكون)) [٢٤].

ولم يقصروا مصطلح الميّت على الأصوات الثلاثة الألف والواو والياء المديتين، بل ألحقوا بهما الاحتكاكيتين فعاملوهما معاملتهما وفي ذلك يقول سيبويه: ((باب تقلب الواو فيه ياء لا لياءٍ قبلها ساكنة لا لسكونها وبعدها ياء... ومثل ذلك سَوْطٌ وسِياطٌ وثَوبٌ وثيابٌ وروضةٌ ورِياضٌ لما كانت الواو ميّتةً ساكنة شبّهوها بواو يقول؛ لأنها ساكنة مثلها، ولأنَّها حرف الاعتلال)) [٢٥] .

فتبيّن من ما تقدم أن أصوات العربية تقسم على قسمين رئيسين: حية (صامتة) وهي القابلة للحركة، وميّتة (صائتة) ساكنة وهي: الألف والواو والياء المديّتان وتلحق بها الاحتكاكيتان، لسكونهما.

وانفرد من النحويين الرضي بأحد أقواله بوصف الصحيح الساكن بأنه ميّت بقوله: ((فجعلوا الفتحة قبل الحلقي إن كان لاماً، وبعده إن كان عيناً، ليسهل النطق بحروف الحلق الصعبة، ولم يفعلوا ذلك إذا كان الفاء حلقياً: إمّا لأن الفاء في المضارع ساكنة فهي ضعيفة بالسكون ميتة)) [٢٦].

وانفرد ابن خالويه في أحد أقواله بتسمية المجهور حيًّا، والمهموس ميتا، قال في معرض حديثه عن إبدال تاء الافتعال في (مُزْدَهي): ((والأصل مزْتَهِي،...وذلك أن الزاي حرف مجهور حيّ، والتاء مهموسة ميّتة، فقلبوا من التاء دالا، لأنها أخت التاء في المخرج، وتواخي الزاي في الجهرة)) [٢٧] .

وتوّهمت الدكتورة سليمة الغزاوي بتفسيرها للحيّ والميّت في هذا الموضع عند ابن خالويه بأنه وافق علماء العربية بأن الحرف الحيّ هو الذي يتقبّل إحدى الحركات، وناقضهم بالحرف الميّت، لأنه وصف التاء بأنها مهموسة ميتة، والميّت عندهم هو الألف دوما، والواو والياء قد يكونان حييّن أو ميّتين بحسب التركيب الذي يردان فيه[٢٨].

والصواب أن ابن خالويه لا يقصد ما ذهبت إليه الدكتورة، بل وصف المجهور بالحي، والمهموس بالميت، كما هو واضح من كلامه، والدليل على ذلك أنه وصف الزاي الساكن بالحياة، والتاء المتحرك بالموت.

وأصل هذين المصطلحين (الموت والحياة)- وإن كانا شائعين في علوم الدين- مستعمل في لغة العرب، موجود قبل القرآن الكريم، كما ذُكر آنفا بالمعنى اللغوي.

إشكال وجواب

يرد إشكالان على هذين المصطلحين:

١- كيف جاز وصف الأصوات الصامتة بأنها حية متحرّكة، ولا نصيب لها من الحركة بذاتها، بل هي متحرّكة بائتلافها مع الصوائت القصيرة والطويلة؟.

٢- أجمع علماء العربية على أن الصوائت الطويلة في العربية بأنها ساكنة ميتة، ومسبوقة بحركة من جنسها، وفي الوقت نفسه قالوا بأنها حركات طويلة، وما الحركات القصيرة الفتحة والضمة والكسرة إلاّ أبعاض هذه الحروف[٢٩]، وعلى هذا يرد يتفرّع إشكالان:

أ- إذا كانت حركات فكيف نصفها بالسكون والموت؟.

ب- كيف تكون مسبوقة بحركة من جنسها والحركات لا تدخل على الحركات البتّة؟.

أمّا الجواب عن الإشكال الأول: فإن وصف الأصوات الصامتة بالحية بلحاظ قابليتها للحركة، وما تؤول إليه في التركيب، ومن هنا جاز وصفها بالحياة، وإن كانت ليست حيّة بذاتها، وهو معنى دقيق، ومقتبس من الفكر الديني، فكل الكائنات الحية ليست حية بذاتها، ولكننا نصفها بالحياة، فالحيّ المطلق هو الله سبحانه فقط قال تعالى: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ[٣٠] ، وقال أيضا: وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ[٣١] ، لكننا نصفها بالحياة بلحاظ قبولها للأثر.

وأمّا الجواب عن الإشكال الثاني بقسميه، فإنه أحد أهمّ الإشكالات التي أخذت على الدرس الصوتي القديم، إذ ذهب معظم علماء العربية المحدثين إلى تخطئة القدماء في ما ذهبوا إليه في هذه المسألة ورموهم بالضلالة والخلط والتناقض والوهم[٣٢]، وغيرها من الصفات الجارحة للجهود الكبيرة التي بذلها علماء العربية الأفاضل في حفظ لغة القرآن الكريم.

وأجاب بعض العلماء المحدثين عن الإشكال الأول بأن ((الصرفيين حين نسبوا السكون إلى حرف المد...لم يقصدوا أن حرف المدّ مُشكَّل هنا بالسكون؛ لأن المدَّ والحركة لا يقبلان السكون ولا الحركة , وإنّما قصدوا به شيئا شبيها باعتبار العروضيين أن حرف المدّ يساوي من حيث الكمية الإيقاعية حركة متلوّة بسكون)) [٣٣] .

وأجاب آخر أن وصف القدماء للصوائت الطويلة بالموت والسكون إنّما قصدوا أنها صائتة غير قصيرة وجاءت نتيجة إشباع الحركة المناسبة، والإشباع كالسكون يؤدي إلى تغيير المقطع لا أنه يؤدّي إلى ظهور مقطع جديد[٣٤].

وأرى أن ذلك راجع إلى التداخل بين علمي الصرف والصوت، فوصف القدماء بأن (اوي) ساكنة ميّتة من الناحية الصرفية؛ لأنها لا تقبل الحركة ظاهرا، عند تركيبها في بنية الكلمة، وأمّا من الناحية الصوتية فيرون أنهن ((يكثرن في كل موضع، ولا يخلو منهن حرف... ومنهن كل حركةٍ)) [٣٥].

وأمّا وصفهم أنها حركات طويلة وأصوات، فلا تناقض

في ذلك؛ لا سيما إذا علمنا أنهم اعتمدوا على الحسّ والذوق والتجربة الفردية باستخلاص النتائج التي توّصلوا إليها.

وأمّا الجواب عن قولهم بوجود حركة قبل الصوائت الطويلة فأرجع بعض الباحثين ذلك إلى علم الصرف ومبدأ نقل الحركات؛ إذ قرّ بأذهانهم أن الحرف الصحيح أولى بالحركة من المعتلّ لذا نقلت حركة المعتلّ إلى الصحيح قبله وبقي المعتلّ ساكنا من دون حركة، كما في يَقُوم أصلها: يَقْوُمُ فنقلت ضمّة الواو إلى القاف[٣٦] .

وأرى أن ذلك عائد إلى منهجهم في البحث الصوتي الذي قلت سابقا أنه يعتمد على الحسّ والذوق، فإن الناطق بهذه الصوائت يحسّ أنه ينطق فتحة قبل الألف وضمّة قبل الواو وكسرة قبل الياء، وفي الحقيقة أنه ينطق التشكيل الأولي للنطق بهذا الصائت، وليس صائتا قصيرا مستقلا عن الصائت الطويل.

خصائص الحرف الحيّ والحرف الميّت

وجدت في أثناء تتبّعي لهذين المصطلحين يذكر النحويون خصائص لهذين الحرفين، سأعرضها في محاور عدة من حيث:

١- البقاء والحذف

يرى النحويون أن الحرف الحي ّ (المتحرّك) أقوى من الميّت (الساكن)، لذا فإنهم يحذفون الميّت لضعفه ويبقون الحيّ لقوّته، ومن ذلك قول سيبويه: ((وأمّا الممدود مصروفاً كان أو غير مصروف كثر عدده أو قلّ فإنه لا يحذف، وذلك قولك في خُنْفساء: خُنْفَساويٌ وفي حَرْملاء حَرْمَلاويٌ وفي مَعْيُوراء مَعْيُوراويٌ، وذلك أن آخر الاسم لمّا تحرك وكان حيّاً يدخله الجر والرفع والنصب صار بمنزلة سَلامانٍ وزَعفرانٍ وكالأواخر التي من نفس الحرف نحو احْرِنجامٍ واشْهِيبابٍ، فصارت هكذا كما صار آخر مِعزًى حين نُوِّن بمنزلة آخر مَرمى، وإنّما جَسروا على حذف الألف؛ لأنها ميّتة لا يدخلها جر ولا رفع ولا نصب، فحذفوها كما حذفوا ياء ربيعة وحنيفة، ولو كانت الياءان متحركتين لم تحذفا لقوة المتحرك، وكما حذفوا الياء الساكنة من ثمانٍ حيث أضفت إليه...فإنما يجسرون بهذا على هذه الحروف الميّتة. وسترى للمتحرك قوةً ليست للساكن في مواضع كثيرة)) [٣٧].

وقال المبرد في باب النسب وجواز حذف الياء إذا كانت ساكنة: ((وَاعْلَم أَن الِاسْم إِذا كَانَت فِيهِ يَاء قبل آخِره، وَكَانَت الْيَاء سَاكِنة، فحذفها جَائِز؛ لِأَنَّهَا حرف ميت، وَآخر الِاسْم ينكسر لياء الْإِضَافَة، فتجتمع ثَلَاث ياءات مَعَ الكسرة، فحذفوا الْيَاء الساكنة لذَلِك وسيبويه وَأَصْحَابه يَقُولُونَ: إِثْبَاتهَا هُوَ الْوَجْه وَذَلِكَ قَوْلك في النّسَب إِلَى سليم: سلمى، وَإِلَى ثَقِيف: ثقفي، وَإِلَى قُرَيْش: قرشي)) [٣٧].

وقال أبو علي الفارسي في تعليل عدم حذف الياء من (عِثْيَر) و(حِثْيَل) وحذفها في (هُذَيْلٍ) و(سُلَيْمٍ) وأشباههما عند النسب: ((لأن هذه متحرّكة حيَّة، وتلك ساكنة مَيِّتة، فكذلك لا تحذف همزة مَعْيُورًا، لتحركها وتحذف ألف حُبارى ومُرامى لسكونهما)) [٣٨].

وقال سيبويه في حذف الألف إذا كانت خامسة عند التصغير: ((إن هذه الألف إذا كانت خامسةً عندهم فكانت للتأنيث أو لغيره حذفت، وذلك قولك في قَرْقَرى: قُرَيْقِرٌ وفي حَبَرْكى: حُبَيْرِكٌ، وإنّما صارت هذه الألف إذا كانت خامسةً عندهم بمنزلة ألف مباركٍ وجوالقٍ؛ لأنها ميّتة مثلها)) [٣٩].

وقال في التصغير أيضا مقارنا بين الهمزة والألف: ((وإذا حقَّرت رجلاً اسمه قَبائل قلت: قُبَيْئِل، وإن شئت قلت: قُبَيْئِيل عوضاً ممَّا حَذفت، والألف أولى بالطرح من الهمزة؛ لأنَّها كلمةٌ حيّةٌ لم تجئ للمدّ، وإنَّما هي

بمنزلة جيم مساجِد وهمزة بَرائِلٍ، وهي في ذلك الموضع والمثال، والألف بمنزلة ألف عذافرٍ)) [٤٠]. ويعلّل المبرد ذلك بقوله: ((أمّا النحويون فأقرّوا الْهمزَة وحذفوا الْألف؛ لِأَن الْهمزَة متحرّكة وَالْألف سَاكِنة، والمتحرّك حرف حَيّ وَهُوَ فِي مَوَاضِع الملحقة بالأصول أَلا ترى أَن الْهمزَة من قبائل فِي مَوضِع الْفَاء من عذافير، وَالْألف لَا تقع من هَذَا الْبناء فِي موضعهَا إِلَّا زَائِدَة فَكَانَت أَحَق بالحذف)) [٤١].

وقيل في تعليل ذلك أيضا: ((لأنّ الهمزة قوية حيّة بالحركة، فجرت لذلك مجرى الحروف الأصلية في عدم الحذف فلم تحذف، وألف حبلى ضعيفة ميّتة بالسكون فحذفت)) [٤٢].

وقال سيبويه في الموضوع نفسه: ((أمّا ما لحقته ألفا التأنيث فَخُنْفَساء وعُنْصَلاء وقَرْمَلاء، فإذا حَقَّرت قلت: قُرَيمِلاء وخُنَيْفِساء وعُنَيْصِلاء، ولا تحذف كما تحذف ألف التأنيث؛ لأن الألفين لما كانتا بمنزلة الهاء في بنات الثلاثة لم تحذفا هنا حيث حيَّ آخر الاسم وتحرّك كتحرّك الهاء. وإنّما حُذفت الألف؛ لأنّها حرفٌ ميِّتٌ فجعلتها كألف مباركٍ فأمَّا الممدود فإنَّ آخره حيٌّ كحياة الهاء)) [٤٣].

ويعلّل الشاطبي ذلك بقوله: ((والفرق بينها وبين الألف المقصورة حرفٌ ميّت لا حظّ لها في الحركة، فلم يقْوَ أن يثبت إذا وقع بعد أربعة أحرف))([٤٤]).

وفي باب الترخيم قال الرماني في ((الاسم الذي قبل آخره زائد يكون معه بمنزلة حرف واحد يحذف الآخر مع الزائد في الترخيم. ولا يجوز حذف الآخر دون الزائد، لأنه ساكن ميّت)) [٤٥]. فتبّين أن الحرف الحيّ يبقى، والحرف الميّت يحذف؛ الأول لقوّته والثاني لضعفه.

٢- الإعلال والإبدال

إن الأصوات الميّتة الساكنة أكثر عرضة للإعلال والإبدال من الحيَّة المتحرّكة، فالحركة تُحصِّن الحرف من التغيير، بخلاف السكون الذي يجعله عرضة له، قال سيبويه في ((باب تقلب الواو فيه ياء لا لياءٍ قبلها ساكنة لا لسكونها وبعدها ياء... ومثل ذلك سَوْطٌ وسِياطٌ وثَوبٌ وثيابٌ وروضةٌ ورِياضٌ لّما كانت الواو ميتةً ساكنة شبهوها بواو يقول؛ لأنها ساكنة مثلها، ولأنَّها حرف الاعتلال)) [٤٦]، فالواو والياء على الرغم من أنَّهما غير مَدِّيَتين لكنهما عُوملا معاملتهما؛ لأنهما ساكنتان، فجرى عليهما الإعلال حملا على المدِّيتين.

ويعلّل الزمخشري ذلك بقوله: ((وقد أعلوا نحو قيام وعياد واحتياز وانقياد لإعلال أفعالها مع وقوع الكسرة قبل الواو، والحرف المشبّه للياء بعدها وهو الألف ونحو ديار ورياح وجياد تشبيهاً لإعلال وحدانها بإعلال الفعل مع الكسرة والألف، ونحو سِياط وثِياب ورِياض؛ لشبه الإعلال في الواحد وهو كون الواو ميّتة ساكنة فيه بألف دار وياء ريح مع الكسرة والألف)) [٤٧].

وقد لخّص الأشموني شروط قلب الواو وعدَّ من ضمنها: ((...أن تكون الواو في واحده ميِّتَة بالسكون...)) [٤٨].

والأحرف التي تقلب همزة بين بين، أصلها همزة؛ فلم تقلب واوا محضة ولا ياء محضة، وأمّا الأحرف الميّتة فلا يمكن قلبها؛ لأنها بلغت غاية الضعف قال سيبويه: ((وإن كان ما قبلها مكسوراً أبدلت مكانها ياءً كما أبدلت مكانها واواً إذا كان ما قبلها مضموماً وألفاً إذا كان ما قبلها مفتوحاً، وذلك الذئب والمِئْرة ذِيْبٌ ومِيْرةٌ فإنما تبدل مكان كل همزة ساكنةٍ الحرف الذي منه الحركة التي قبلها؛ لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها. وإنّما يمنعك أن تجعل هذه السواكن بين بين أنها حروف ميتة وقد بلغت غايةً ليس بعدها تضعيف)) [٤٩].

ويبيّن سيبويه حكم الواو الحية في التصغير وجمع التكسير: ((واعلم أنَّ أشياء تكون الواو فيها ثالثة

وتكون زيادةً، فيجوز فيها ما جاز في أسْوَد. وذلك نحو جَدْوِلٍ وقَسْورٍ، تقول: جُدَيْوِلٌ وقُسَيْوِرٌ كما قلت: أُسَيْوِد وأُرَيْوِيَةٌ؛ وذلك لأنَّ هذه الواو حيّةٌ)) [٥٠].

ويقارن المقتضب بين الواو الحيّة والواو الميّتة، بأن الأولى يمكن حذفها وإبقاؤها في التكسير والتصغير، والثانية لا يجوز إلاّ حذفها، ونلحظه يُعبِّر عن الحية بأنها ظاهرة، وهي صفة تقابل الخفيّة الميتة قوله: ((إِذا كَانَت ظَاهِرَة فِي مَوضِع الْعين فَأَنت فِيهَا بِالْخِيَارِ إِن شِئْت قلبتها لياء التصغير الَّتِي تقع قبلهَا وَهُوَ الْوَجْه الْجيد فَقلت فِي أَسْوَد أُسَيد...وَأمّا الملحق فنحو قَسْور وجَدْول تَقول فيهمَا قُسَيْر وجُدَيْل؛ وَذَلِكَ أَن الْيَاء الساكنة إِذا وَقعت قبل الْوَاو المتحرّكة قلبت الْوَاو لَهَا يَاء ثمَّ أدغمت فِيهَا ... فَإِن شِئْت قلت فِي هَذَا أجمع بِإِظْهَار الْوَاو أَي فِي بَاب أَسْوَد وجَدْوَل وقَسْوَر فَقلت: أُسَيْوِد وجُدَيْوِل وقُسَيْوِر، وَإِنَّمَا جَازَ لذَلِك أَن الْوَاو ظَاهِرَة حَيَّة أَي متحرّكة... فَإِن كَانَت الْوَاو سَاكِنة أَو كَانَت مُبدلة لم تظهر فِي التصغير... فنحو وَاو عَجُوز وعمود لَا تَقول إِلَّا عُجَيز وعُمَيد)) [٥١].

وقال سيبويه في علّة عدم إعلال الواو في طويل وطوال: ((لأنّها حيَّة في الواحد على الأصل)) [٥٢].

٣- الإدغام وعدمه

من أصولهم المعروفة أن الحرف الميت (الساكن) يدغم في الحرف الحيّ (المتحرك)، وليس العكس، قال ابن خالويه: ((إنما يدغم الساكن في المتحرك، لا المتحرك في الساكن؛ لأن المتحرّك حيّ، والساكن ميّت)) [٥٣]، ويعلّل ذلك تعليلا عقديا وفلسفيا بقوله: ((ومن شأن العرب، أن تدفن ميتا في الحي، ولا يدفنون حيا في ميت)) [٥٤]. على مبدأ أن الحي قوي، والميت ضعيف، ومن أصولهم ((في الحرفين المختلفين أن يرد الأضعف منهما إلى لفظ الأقوى)) [٥٥]، وليس العكس.

٤- الإمالة وعدمها

قال ابن الحاجب في علّة إمالة «دعا» وعدم إمالة «قال»: ((إن الياء في «دعي» يجب قلبها متحرّكة فصارت كالأصلية لقوتها، والياء في «لِيم» و«قِيل» لا تتحرّك بل ميِّتة ساكنة، فجُعل للمتحرِّك على الساكن مزية)) [٥٦].

اصطلاح الحيّ والميّت عند علماء التجويد

قسم علماء التجويد السكون على قسمين هما:

١- الحي، وهو ((ما كملت ضدِّيتُهُ لنقيضه وهو الحركة، فيجب اعتماد القارئ عليه ليظهر صيغته ويبرز حليته، فإن وصله بغيره بيَّنهُ بما يستحقّه من صفاته القائمة بذاته)) [٥٧] وهو خاصّ بالأصوات الصامتة، وضابطه أن ((يتهيّأ له العضو ويأخذه فيسمع قرعه)) [٥٨]، ويكون في حيّز ومقطّع[٥٩]، أي: إن الناطق به يحسّ بانقطاع النفس، ويكون في صوت له مخرج محدّد، بخلاف الميت.

٢- الميّت، وهو خاصّ بالأحرف الصائتة بالألف، والواو والياء المدِّيتين، وسمّي ((ميتًا لعدم استعداد الناطق لهما؛ إذ ليسا بجاريين على عضو، ولا حاصلين في حيِّز)) [٦٠]، فهي ليست لها مخرج محدّد في الفم.

والذي يلحظ أنهم تأثّروا بالنحويين لا سيما سيبويه، في تقسيمهم للسكون، فالنحويون قسّموا الأصوات إلى حيّة وميّتة وهم قسّموا السكون إلى حي وميت، ويرد على تقسيمهم هذا أمور:

١- أن تقسيم النحويين الأصوات إلى حية وميتة، يندرج تحته السكون بنوعيه ويقع من ضمنه، فإذا كان حيّا فهو تابع للصوت الحي، وإن كان ميتا فهو تابع له، ولا مسوّغ لإفراده.

٢- اتفق النحويون وعلماء التجويد على أن الأصوات

الصائتة هي أصوات ساكنة ميِّتة، لا تقبل أي حركة بأي شكل من الأشكال، والأصوات الصامتة أصوات حية تعتريها الحركة والسكون، فلا مسوّغ لتسمية السكون اللاحق للأصوات الأولى سكونا ميتا، كما لا مسوّغ لتسمية السكون اللاحق للأصوات الثانية سكونا حيّا، لأن الاولى ميتة والثانية حية أصلا ووضعا- بحسب قولهم- فلا داعي لهذين المصطلحين.

٣- عُرِّف السكون بأنَّه ((عدم الحركة عمَّا من شأنه أن يتحرّك)) [٦١]، وهذا التعريف يستقيم مع السكون الحي- وإن كان ظاهره متناقضا- ولكن لا يستقيم مع مصطلح (السكون الميت)؛ لأنَّ عدم ((الحركة عمَّا ليس من شأنه الحركة لا يكون سكونًا، فالموصوف بهذا لا يكون متحركًا ولا ساكنًا)) [٦٢]، والأصوات الصائتة ميِّتة باعترافهم، وبالنتيجة لا يصحّ وصفها بالسكون.

وبناء على ما تقدّم تبيّن عدم صحة ما ذهب إليه علماء التجويد في تقسيمهم للسكون.

الهوامش

١- ينظر: دراسة الصوت اللغوي: ١٦١.
٢- ينظر: العين: ١/٥٧- ٥٨، جمهرة اللغة: ١/٤٣.
٣- ينظر: تفسير الرازي: ١/٢٩، المواقف للإيجي: ٢/ ٢٠، الكليات: ٢٢.
٤- ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٦١.
٥- ينظر: الأصوات اللغوية: ٢٧.
٦-٧- مقاييس اللغة: ٥/٢٨٣(موت).
٨- لسان العرب: ٢/٩٢(موت).
٩- المصدر نفسه والصفحة نفسها.
١٠- مقاييس اللغة: ٢/١٢٢(حيي).
١١- لسانِ العرب: ١٤/٢١٢.
١٢- كتاب سيبويه: ٤/٣٥٦.
١٣- المصدر نفسه والصفحة نفسها.
١٤- كتاب سيبويه: ٢/٢٦١.
١٥- المصدر نفسه: ٣/٣٥٥.
١٦- المقتضب: ٢/٢٨٦.
١٧- المصدر نفسه: ٣/١٣٣.
١٨- إعراب القراءات السبع وعللها: ١/٣١٨، الدراسات اللغوية في تراث ابن خالويه: ٦٩.
١٩- المنصف: ٢/٨٢- ٨٣.
٢٠- المنصف: ٢/٨٣.
٢١- المفصل في صنعة الإعراب: ٥٣٠.
٢٢- أمالي ابن الحاجب: ١/ ٤٦٩.
٢٣- شرح شافية ابن الحاجب للرضي الأستراباذي: ١/ ٢٤٧.
٢٤- المقاصد الشافية: ٧/٣١٤.
٢٥- شرح الأشمونى لألفية ابن مالك: ٤/ ١٠٤.
٢٦- كتاب سيبويه: ٤/٣٦٠.
٢٧- شرح شافية ابن الحاجب للرضي الأستراباذي: ١/ ١١٩.
٢٨- شرح المقصورة: ٥٥٦.
٢٩- ينظر: الدراسات اللغوية في تراث ابن خالويه: ٧٠.
٣٠- ينظر: سر صناعة الإعراب: ١/٣٣- ٣٤.
٣١- سورة البقرة: ٢٥٥.
٣٢- سورة آل عمران: ١٥٦.
٣٣- ينظر: التطور النحوي للغة العربية: ٥٣، الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: ٤٠، دراسات في علم اللغة: ١٩٦، ١٩٧، المنهج الصوتي للبنية العربية: ١٨.
٣٤- اللغة العربية معناها ومبناها: ٧١.
٣٥- ينظر: الساكن والمتحرك في علم العربية، د. جعفر دك الباب: ١٥، بحث منشور في مجلة اللسان العربي،

ع٢٠، ١٩٨٦.
٣٦- كتاب سيبويه: ٣١٨/٤.
٣٧- ينظر: الصوائت الطويلة في العربية، أ.د. علي كاظم المشري، وم. أسامة محمد حسين: ١١٤، بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، م ١٤، ع ١، ٢، ٢٠١١.
٣٨- كتاب سيبويه: ٣٥٥/٣، وينظر: المقتضب: ١٤٩/٣، الأصول لابن السراج: ٣/ ٧٥.
٣٩- المقتضب: ١٣٣/٣.
٤٠- التعليقة على كتاب سيبويه: ٣/ ١٨١.
٤١- كتاب سيبويه: ٤١٩/٣.
٤٢- المصدر نفسه: ٣/ ٤٣٩.
٤٣- المقتضب: ٢٨٦/٢.
٤٤- الكناش في فني النحو والصرف: ١/ ٣٧٠.
٤٥- كتاب سيبويه: ٤٢٣/٣.
٤٦- المقاصد الشافية: ٣١٤/٧.
٤٧- شرح كتاب سيبويه للرماني: ٢٩٨.
٤٨- كتاب سيبويه: ٣٦٠/٤.
٤٩- المفصل في صنعة الإعراب: ٥٣٠، وينظر: شرح المفصل لابن يعيش: ٥/ ٤٦٣، شرح شافية ابن الحاجب للرضي الأستراباذي: ٣/ ١٣٨.
٥٠- شرح الأشمونى لألفية ابن مالك: ٤/ ١٠٤.
٥١- كتاب سيبويه: ٥٤٤/٣.
٥٢- المصدر نفسه: ٣/ ٤٦٩.
٥٣- المقتضب: ٢٨٣/٢.
٥٤- كتاب سيبويه: ٤/ ٣٦٣.
٥٥- إعراب القراءات السبع وعللها: ٣١٨/١.
٥٦- المصدر نفسه والصفحة نفسها
٥٧- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب: ٧٧١/٢.
٥٨- أمالي ابن الحاجب: ١/ ٤٦٩.
٥٩- القواعد والإشارات في أصول القراءات: ٥٤.
٦٠- مرشد القارئ: ٧٨.
٦١- ينظر: الإنباء في أصول الاداء: ٢٦.
٦٢- القواعد والإشارات في أصول القراءات: ٥٤، وينظر: الزيادة والإحسان في علوم القرآن: ٣/ ٢١٥.
٦٣- التعريفات: ١٢٠.
٦٤- المصدر نفسه: ١٢٠.

١- الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٢- الأصول في النحو: أبو بكر بن السراج(ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيرو، لبنان، ط٤، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣- إعراب القراءات السبع وعللها: الحسين بن خالويه الهمذاني (ت: ٣٧٠هـ)، حققه وقدم له: د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
٤- أمالي ابن الحاجب: عثمان بن عمر بن أبي بكر(ت: ٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة ، دار عمار - الأردن، دار الجيل – بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٥- الإنباء في أصول الاداء: ابن الطحان السماتي (ت: ٥٦١)، تحقيق: أ. د حاتم صالح الضامن، ط١، مكتبة التابعين، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٦- التطور النحوي للغة العربية: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٧- التعريفات: علي بن محمد الجرجاني(ت: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٨- التعليقة على كتاب سيبويه: الحسن بن أحمد الفارسيّ (ت: ٣٧٧هـ)، تحقيق: د. عوض بن حمد القوزي ، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٩- تفسير الرازي(مفاتيح الغيب): فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
١٠- جمهرة اللغة: أبو بكر بن دريد الأزدي(ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط ١، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧ م.
١١- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: د. غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود، بغداد، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
١٢- دراسات في علم اللغة، القسم الأول: د. كمال بشر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.
١٣- الدراسات اللغوية في تراث ابن خالويه: أ.د. سليمة جبر الحربي، مركز الكتاب الأكاديمي، ط١، ٢٠٢٠م.
١٤- دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م.
١٥- الزيادة والإحسان في علوم القرآن: محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ (ت: ١١٥٠ هـ)، تحقيق: محمد صفاء حقي وآخرون، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، ط١، ١٤٢٧ هـ .
١٦- سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
١٧- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك): أبو الحسن علي نور الدين الأشموني(ت: ٩٢٩هـ)، حققه وشرح شواهده: محمد محي الدين عبد الحميد، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
١٨- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك): أبو الحسن علي نور الدين الأشموني(ت: ٩٢٩هـ)، حققه وشرح شواهده: محمد محي الدين عبد الحميد، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
١٩- شرح المفصل للزمخشري: أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي(ت:٦٤٣هـ)، قدم له ووضع هوامشه: د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
٢٠- شرح مقصورة ابن دريد: الحسين بن خالويه الهمذاني (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمود جاسم محمد، مطبوع ضمن كتاب ابن خالويه وجهوده في اللغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
٢١- شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين الأستراباذي(ت: ٦٨٦هـ)، تحقيق وضبط وشرح: محمد نور الحسن، وصاحباه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
٢٢- شرح كتاب سيبويه للرماني: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٢٩٦ - ٣٨٤ هـ)،
٢٣- تحقيق: سيف بن عبد الرحمن بن ناصر العريفي

، جامعة: الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
٢٤- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت: ١٧٥هـ) تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة ، إيران، قم، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٢٥- القواعد والإشارات في أصول القراءات: أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا، الحموي الحلبي (ت:٧٩١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٢٦- كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٢٧-الكليات:أبو البقاء الحسيني الكفوي(ت:١٠٩٤هـ)، قابله ووضع فهارسه: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٨- الكناش في فني النحو والصرف: عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت: ٧٣٢ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠ م.
٢٩- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري (ت :٧١١هـ)، دار صادر، بيروت لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
٣٠- اللغة العربية معناها ومبناها: د.تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م.
٣١- مرشد القارئ إلى علم المقارئ: ابن الطحان السماتي (ت: ٥٦١)، تحقيق: أ. د حاتم صالح الضامن، ط١، مكتبة التابعين، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٣٢- المفصل في صنعة الإعراب: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣هـ.
٣٣- المفصل في صنعة الإعراب: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣هـ.
٣٤- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي(ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق ج١: د. محمد إبراهيم البنا، وصاحباه، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٣٥- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا(ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٣٦- المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٣٧- المنصف شرح لكتاب التصريف للمازني: أبو الفتح بن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، ط١، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.
٣٨- المنهج الصوتي للبنية العربية: د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٣٩- المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت:٧٥٩هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت،، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
ب- البحوث المنشورة:
١- الساكن والمتحرك في علم العربية، د. جعفر دك الباب: ١٥، بحث منشور في مجلة اللسان العربي، ع٢٠، ١٩٨٦.
٢- الصوائت الطويلة في العربية، أ.د. علي كاظم المشري، وم. أسامة محمد حسين: ١١٤، بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، م ١٤، ع ١، ٢، ٢٠١١.